الباب الخامس

مصر والعروبة والتقدم

- من المصرى
- إذن من هم العرب بيولوچيًا؟
- رابطة اللغة
- رابطة الدين
- نحن والغرب

obeikandi.com

obeikandl.com

لقد التزمت فيما سبق بالنظرة العلمية لرصد الظواهر والتعرف على أسبابها بموضوعية وحيادية من الناحية المعرفية (الأبستمولوجية) كما يراها المتخصصون الأكاديميون، بدون تبرير لاتجاه أو استحسان لتفسير من جهة أو إظهار شرور التوجهات وعيوبها من جهة أخرى؛ ذلك لأن هدف العلم فى النهاية هو عرض المعارف المحايدة.

لكننا إذا نظرنا إلى ما يجرى فى عالمنا المعاصر، سنجد أن هناك شعوبًا فى أوروپا الغربية وأمريكا تبسط سيادتها وهيمنتها على معظم شعوب العالم، وأمة عربية تكاد تقع تحت السيطرة الكاملة للغرب، وخاصة فى المجالات العلمية والتكنولوچية والعسكرية، وتكاد تفقد خصوصيتها الثقافية والفكرية، اللهم إلا بعض ردود الأفعال التى تدفعها إلى إشكالات تاريخية هامشية، وتبعدنا عن حقائق دنيانا المعاصرة، بينما هناك شعوب شرقية فى آسيا آخذة فى النهوض والإمساك بزمام أمرها بتصميم وفاعلية، ويبقى كثير من المهمشين فى الجنوب يقاسون العزلة والإهمال والركود.

أين نحن من كل هذا على ضوء ماسبق عرضه؟.

من المصرى؟

يعيش الإنسان المعاصر على كوكب الأرض منتميًا إلى وطن، والوطن اليوم ليس مساحة من سطح الأرض فقط، ولكن له حدوده الإدارية وطبيعته الجغرافية، ويشارك فيه بشر وأحياء أخرى من نبات وحيوان، وبه ثروات طبيعية، كما أنه مر بأحداث تاريخية وله قيمته النسبية التى يحددها على الأرجح الإنسان أكرم المخلوقات، وماذا يفعل مع هذا الوطن ومكوناته.

obeikandl.com

وفيما سبق ذكره، فالإنسان كائن حى متميز له أصول ومواصفات بيولوچية خاصة تجمعه فى نوع معين من الكائنات يسميه علماء الأحياء «الإنسان العاقل». وهذا العقل المميز للإنسان هو الذى أتاح له إنتاج ثقافة فى صورة علوم وآداب، وفنون، وصناعة وزراعة وقيم وعادات. . . وغيرها مما سبق تفصيله.

أما عن الأصول والمواصفات البيولوچية الخاصة بالإنسان، فتحددها أساسًا الشفرة الوراثية الخاصة لفرد معين، وهى وظيفة ما يسمى بـ «الچينوم» الذاتى لهذا الفرد، والذى يتكون بتصرف محدود فى أثناء عملية الإخصاب من اندماج المادة الوراثية الموجودة فى نطفة الأب مع المادة الوراثية الموجودة فى نطفة الأم.

هذا الچينوم الذاتى للفرد يحدد سماته المتفردة والمميزة ويعكس صفات الوالدين وأسلافهما، وأيضًا يعكس مواصفات المجموعة البشرية أو العرق الذى ينتمى إليه هذا السلف فمن يُولد فى أسرة زنجية يتصف بالسمات التى تميز «الزنوج» عامة، ومن يُولد لأسرة إسكندناقية يتصف بالسمات العامة التى تميز «القوقازيين النورديك» ومركزيًا يحدد هذا الچينوم الذاتى كون الفرد بشرًا وليس حصانًا أو طائرًا.

وتوضح الدراسات الحديثة، بناء على علوم البيولوچيا الجزيئية وتحليل المادة الچينية، أن الاختلافات بين البشر طفيفة جدًا، ومعظمها توجد بين الأفراد داخل المجموعة أو العرق الواحد (راجع الباب الأول).

إذا عاشت مجموعة من البشر فى ظروف طبيعية ومناخية وبيئية ثابتة، وبمعزل عن الآخرين لأجيال عديدة، تتزايد هذا السمات الخاصة التى تميزها بوضوح عن مجموعة أخرى عاشت فى بيئة أخرى أيضًا لأجيال عديدة، مثلاً (الزنوج الذين يعيشون فى المناطق الحارة فى إفريقيا والنورديك الذين يعيشون فى المناطق الباردة فى شمال أوروبا) يمكن تمييزهم عن بعض بسهولة ووضوح.

ولكن ما يجمع البشر، بكونهم بشرًا هو كثير جدًا، وعميق جدًا، ومؤثر جدًا فى كونهم ينتمون لنوع واحد، مشتركين فى تاريخ الحياة وأهداف الوجود.

وبناء على ذلك، فالمصرى هو إنسان ينتسب إلى وطن هو مصر، وتُبنى هذه المواطنة على أسس وشروط قانونية وإدارية إذا استوفاها الفرد قبله المجتمع مصريًا، وليس من بين هذه الشروط مواصفات بيولوچية عرقية كطول القامة ولون الجلد أو العينين. . .

Obeikandl.com

وغير ذلك من المواصفات البيولوچية (راجع قانون الجنسية والتجنس).

واتفاق المجتمع على هذه الشروط كان نتيجة التطور البيولوچى لسكان هذه المنطقة ومميزاتها وتاريخها.

إذا نظرنا إلى هذه المجموعة البشرية التى تعيش على تلك الرقعة من الأرض الآن، والتى تسمى مصر، نجد أنهم على طول التاريخ المعروف لم يكونوا أبداً بمعزل عن غيرهم من سكان المعمورة، بل إنه حتى منذ فترة ما قبل التاريخ، فإن حفريات العظام فى منطقة البدارى جنوب مصر بها العديد من المواصفات للأعراق الإفريقية فى الجنوب، أما الحفريات الأخرى التى وُجدت فى منطقة حلوان والشرقية تبين العديد من المواصفات للأعراق القوقازية من الشمال والشرق.

الكثير منا يعلم أن مصر، على مدى التاريخ المعروف ومنذ توحيد الملك نارمر للقطرين الشمالى والجنوبى، كانت مصباً للأعراق من جميع الاتجاهات، فالوعاء الوراثى لهذه المنطقة غنى بالعديد من المورثات (الچينات) التى انتشرت وزحفت إليه من جميع الأرجاء. فى التاريخ القديم تعرضت مصر لقدوم وغزو قبائل من وسط آسيا من الشرق وأقاموا بها وحكموها أكثر من قرن من الزمان (الهكسوس التى يسجل التاريخ قيام الفرعون أحمس بنزع الحكم منهم)، وبقيت چيناتهم فى هذا الوعاء، ثم تعرضت مصر لغزو من الشرق أيضًا بواسطة الفرس والأشوريين، ثم من الجنوب (المملكة النوبية) ثم من الغرب (الليبيين)، وفى أواخر فترة مصر الفرعونية قدم لها الأغريق من الشمال بقيادة الإسكندر الأكبر، والذى ترك فيها أسرة من العسكريين حكمت مصر لمدة ثلاثة قرون تقريبًا، كما جاءت قبائل من شعوب مجاورة إلى مصر للتجارة والاستيطان فى قديم الزمان.

ماذا يعنى هذا بيولوچيًا؟ يعنى أن هناك چينات ومورثات أُنتُخبت فى بيئات أخرى غير المنطقة الجغرافية المسماة مصر، وانتقلت تلك المورثات إلى الوعاء الوراثى لمصر وتم اختلاطها بما هو موجود أصلاً من چينات ومواصفات (عن طريق التزاوج)، وبدرجات متفاوته حسب طبيعة العلاقات الاجتماعية وقتها. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تبع الأغريق الرومان الذين سيطروا على مناطق أوروبا، بل وعلى أجزاء من آسيا وإفريقيا.

وتبعتهم الدولة البيزنطية وانتشرت معها مورثات إثنية من الشمال، إلى أن تم الفتح العربى الإسلامى ومعه أتى الكثير من الچينات المنتجة فى الجزيرة العربية وما حولها. كان من طبيعة الحكم العربى أن يكون هناك خليفة أو أمير للمؤمنين يسكن عاصمة الخلافة ويُنصَّب واليًا لحكم «مصر الولاية» ولم يكن مشترطًا أن يكون هذا الوالى من الجزيرة العربية أو من مصر، بل كان غالبًا من أحد أجزاء الخلافة المنتشرة على رقعة واسعة من العالم المعمور وقتها، من آسيا وأوروپا وإفريقيا، وكان يُعتقد أن أكثرهم ولاءً وشجاعة هم من مجتمعات شمال وشرق تركيا، وبعضهم من شبه جزيرة البلقان ومناطق غرب ووسط آسيا وأحيانًا من إفريقيا، واستمر الأمر كذلك مع نزوح العديد من المماليك والجوارى من تلك الأجزاء، واستمر ذلك حتى بعد فتح السلطان التركى سليم الأول لمصر فى أوائل القرن السادس عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر، والتى كانت مصر، حينها، إداريًا تابعة للإمبراطورية العثمانية تبعية صورية، ثم أتت الحملة الفرنسية، واستولت على مصر لسنوات قليلة، ثم استولى محمد على وأسرته على حكم مصر؛ ثم احتلت بريطانيا مصر إلى أن انتهت الإمبراطورية العثمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى فى أوائل القرن العشرين (راجع تاريخ مصر الحديثة).

معنى هذا بيولوچيا أن الوعاء الوراثى للوطن مصر يحتوى على العديد من المورثات لكثير من المجموعات البشرية، والتى تم انتخابها فى بيئات آسيوية وأوروپية وإفريقية متنوعة اختلطت على مدى آلاف السنين، وكونت هذا الشعب المعاصر الكامن فى أفراده معظم سمات النوع البشرى مع اختلاف عناصره وأعراقه وفروعه، ويحب الآخر ويحترمه ولايكاد يعرف التعصب للعرق.

إذن من هم العرب بيولوچيًا؟

يكاد المؤرخون يتفقون مع علماء علم الإنسان وعلم اللغات على أن العرب هم مجموعة السكان الأصليين لشبه الجزيرة العربية، ويقسمهم المؤرخون إلى عرب بائدة؛ وهم الذين بادوا وانقطعت أخبارهم ولا يُعرف عنهم غير ما ورد فى الكتب السماوية والشعر العربى القديم مثل عاد وثمود، وعرب باقية.

أما العرب الباقية فيما نعرف فينقسمون إلى قسمين:

(أ) **عرب عاربة:** أى الصرحاء الخلص الذين ينتسبون إلى قبيلتى «يَعْرُب» و«جُرْهُم» من شعب «قحطان» وموطنهم الأصلى بلاد اليمن فى الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية، حيث تكثر الأمطار والزروع. ومن قبيلة يعرب تشعب فرعان كبيران هما «كَهْلاَن» و«حمير» ومن أشهر بطون كهلان قبائل «همدان»، «كِنْدَة»، «أنمار» و«لخم»، من أشهر بطون حمير قبيلة «قُضَاعة»، ومن قضاعة، تفرَعت قبائل «جهينة» و«كلب» و «بنو نهد»، و«جريم».

(ب) **عرب مستعربة:** ويطلق على جمهور العرب من البدو والحضر من سكان الحجاز وحتى بادية الشام، ويقال أن الأصل فى هذه التسمية بالعرب المستعربة أو المتعربة يعود إلى قبيلة «جرهم» من شعب «قحطان» نزحوا بعد انهيار سد مأرب فى اليمن إلى منطقة مكة فى حوالى القرن السابع قبل الميلاد حيث كان هناك بعض الزراعات حول الآبار.

وكانت هناك قبائل عربية أخرى نزحت منذ ما قبل التاريخ إلى وادى الرافدين وبادية الشام ومصر حيث تيسرت لهم سبل العيش فى أحواض الأنهار، وعند السواحل البحرية واندمجت تلك القبائل، ثقافياً وتزاوجت بيولوچيًا مع السكان الأسبقين لتلك المناطق.

ويرى المؤرخون أن بلاد العرب قبل الإسلام لم تعرف الحكومة المركزية، كما كان فى مصر مثلاً، وإنما قامت فيها وحدات سياسية مستقلة على أسس قبلية، تفاوت تنظيمها تبعًا لاتساع نفوذها.

فى الجنوب الغربى فى بلاد اليمن قامت عدة ممالك ذات حضارة بعضها عميق التاريخ واتصلت بإفريقيا فى الغرب ومنطقة القرن الإفريقى حيث إن الأصول اللغوية فى تلك المناطق سامية مشابهة للغة العربية، وكانت هناك حركة للسكان بين بلاد «بونت» - الصومال الحالية - ومصر الفرعونية وأيضًا منذ فترة ما قبل التاريخ (وجدت مؤخراً بعض الحفائر فى اليمن يرجع تاريخها للألف الثانية قبل الميلاد، ويقال إن طرق الدفن فى تلك الحفائر مماثل لما كان بمصر قبل عصر الأسرات - دفن القرفصاء)، من أشهر تلك الممالك مملكة «معين»، مملكة «قتبان»، مملكة «سبأ»، ومملكة «حمير».

فى شمال شبه الجزيرة العربية، استوطنت بعض القبائل العربية وكونت دويلات شبه مستقلة فى الأراضى القريبة من الدولتين الكبيرتين؛ دولة الفرس ودولة الروم، ومن هذه الدويلات «مملكة الأنباط» وكان أهلها يتكلمون لغة عربية شمالية ويكتبون بالخط الآرامى النبطى، وهو الخط الذى استخدمه أهل قريش فى تدوين لغة القرآن الكريم، ومملكة «تدمر» وقد تم ضمهم إلى مملكة الروم فى نهاية القرن الأول الميلادى تقريبًا، ثم مملكة «غسان» وتشمل الأراضى الواقعة شرق نهر العاصى والأردن، ومملكة «الحيرة» التى أسسها المناذرة فى القرن الثالث الميلادى فى أراضى الحيرة بالقرب من بابل، وكان أهلها على علاقة متينة بالفرس، واشتهروا بتعليم القراءة والكتابة.

أما فى وسط الجزيرة العربية، فلم يكن هناك فى تلك الفترة سوى بعض الكيانات القوية فى مكة ويثرب التى لم تتعرض لغزو أوفتح خارجى باستثناء الحملة الفاشلة لأبرهة الحبشى، لكن سكان هذه المناطق سافروا وتنقلوا شمالاً وجنوبًا سعيًا وراء الرزق والتجارة.

هذا يعنى أن المواصفات الفيزيقية لأهل الجزيرة العربية انتقلت منذ فترة ما قبل التاريخ إلى الغرب فى مصر والقرن الإفريقى، واختلطت المورثات من الوافدين والسكان الأسبقين وكذلك مع سكان الشمال فى منطقة ما بين النهرين وحتى سواحل البحر المتوسط، ومع الفتح الإسلامى زادت حركة سكان الجزيرة العربية والمسلمين الآخرين من شعوب أخرى واتسعت آفاقها لتمتد من جنوب أوروبا شمالاً وغربًا إلى إلى حدود الصين شرقًا، ولم يمثل الإسلام كدين جديد عائقاً للاختلاط البيولوچى والتزاوج، بل شجع على ذلك على أساس أن الناس سواسية بيولوچيًا ومقياس التفاضل بينهم هو درجة التقوى.

إذن، بيولوچيًا الوعاء الجينى للمصريين يضم العديد من المواصفات الأوروبية والأسيوية والإفريقية، كما يضم الچينات التى تم انتخابها فى الجزيرة العربية، والمناطق المحيطة بها ومنذ فترة ما قبل التاريخ المعروف، ولا يمكن اعتبار المصريين أصحاب نمط وراثى مميز، بل يمتازون بالثراء الچينى، وبهم معظم السمات الإنسانية الفيزيقية. كما أن سكان الجزيرة العربية الحاليين يضمون كثيراً من السمات الچينية للعديد من الأعراق، ولو بدرجة أقل من المصريين، ويمكن أن يكون هناك بعض القبائل المنعزلة لفترات زمنية طويلة تم التزاوج بين أفرادها داخليًا ولهم سمات وراثية مميزة.

أما من ناحية الثقافة، فيرتبط المصريون المعاصرون بالعرب والعروبة، وبأكثر العناصر الثقافية الفاعلة مثل اللغة والدين.

رابطة اللغة

اللغة المصرية القديمة هى لغة سامية مثل اللغة العربية والعبرية وإن كان بها تأثيرات حامية، أو كما يقول علماء اللغة: فهى فرع من اللغات الإفريقية الآسيوية، وإن وُجدت فيها تغيرات وتحورات على مدى التاريخ الفرعونى من تأثير الهجرات العديدة لشعوب قدمت من الجنوب ومن آسيا ومن أوروبا أتوا بلغة تواصلهم، حتى إن اللغة القبطية، والتى بدأ استخدامها فى مصر مع نهاية القرن الثانى قبل الميلاد - فهى لغة مصرية قديمة - بها الكثير من الكلمات المنطوقة والحروف المكتوبة من اللغة اليونانية القديمة. الروابط بين أصول اللغة المصرية القديمة واللغة العربية واضحة فى بناء الجمل واستخدام الفعل فى أول الجملة وليس الاسم كما فى لغات أخرى بأن نقول «قرأ أحمد الخطاب» ولا نقول «أحمد قرأ الخطاب»، وكذلك الاسم إما مذكر، وإما مؤنث، ولا يوجد الاسم المحايد، وعادة الكلمة المؤنثة يتم بناؤها بإضافة حرف أو أكثر للمذكر. وكذلك وجود المثنى فى كلتا اللغتين، فلا يقتصر الأمر على المفرد والجمع.

وتختلف المصرية القديمة فى علاقتها باللغة العربية عن اللغة الفارسية أو التركية، فالفارسية هى فرع من اللغات الهندوأوروبية من أصول جنوب شرق أوروبية، والتركية من أصول آسيوية تشترك مع مجموعة اللغات الألطية الممتدة من منغوليا شرقًا وجنوب سيبيريا إلى شرق أوروبا.

لذلك تمسكت مصر ولاتزال باللغة العربية حديثًا وكتابة منذ أوائل القرن الثامن الميلادى وكان ذلك سهلاً، وتمكنت اللغة من أهل مصر ليس فقط لأنها لغة القرآن والدين الجديد، ولكن لأسباب لغوية محضة كما هو موضح عاليه، بعكس الفرس والأتراك الذين سهل عليهم العودة، إلى تسجيل ثقافتهم بلغاتهم الأصلية الفارسية والتركية، وإن ظلوا متمسكين بالإسلام دينًا لهم.

وكما سبق ذكره، فاللغة ليست فقط وسيلة تعبير، ولكنها فى الأصل آلية تفكير يتميز بها الإنسان العاقل لتنقل ما يدور فى عقل الفرد من أفكار إلى آخر فى صورة محسوسة ـ مسموعة

أو مقروءة. فالاشتراك فى اللغة يعنى سهولة التواصل مع التماثل فى طريقة التفكير، وصياغة النشاط المعرفى للعقل، وهذا بالتأكيد يساعد المجتمعات على الإنجاز وتحقيق الهدف.

رابطة الدين

أما عن الدين، فالمصريون القدماء هم من أوائل الشعوب التى اعتقدت فى وجود الروح منفصلاً عن الجسد، واعتقدوا أيضًا فى وجود حياة أخرى بعد الموت، وهذه المعتقدات من أركان الديانات السماوية الثلاث، وتقبلت العقلية المصرية الدين الإسلامى بسهولة كما تقبلت قبله الدين المسيحى والدين اليهودى، فهم أول من نادى بوحدانية الخالق الأعظم، ووجدوا فى الدين الإسلامى وسطية تجمع بين متطلبات الديانتين السابقتين ـ المادية فى اليهودية والروحانية فى المسيحية ـ ويعكس خبرتهم السابقة بأن: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا.

والدين كما سبق ذكره من العناصر الثقافية الفاعلة فى فكر وسلوك البشر ويشكل القيم الأخلاقية فى المجتمع والمرتبطة بالعقيدة كما يحدد السلوك والعادات، والتقاليد المرتبطة بالعادات، والمعاملات، والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

.مما سبق نرى أن المصرى المعاصر كما تحدد هويته القوانين والقواعد الإدارية يجمع كثيرًا من السمات البيولوجية للشعوب المحيطة، ومنهم العرب بطبيعة الحال، وثقافيًا فهو يشترك مع العرب فى اللغة والدين وكثير من القيم والتقاليد، وإن كانت العروبة رابطة أوسع من المواطنة (مع ضرورة الاحتفاظ بها والإخلاص لها كضرورة أولية)، وتضم مجموعات متشابهة فى بعض إن لم تكن معظم الجوانب وذات إمكانات بشرية ومادية أكثر تنوعًا وثراء، فيكون افتعال التناقض على أسس نفسية سلبية ـ كالأنانية والطمع والرغبة فى السيادة. . . وغيرها ـ هو عمل من لا يريدون التقدم والقوة لشعوب منطقتنا من العالم.

نحن والغرب

تقوم الولايات المتحدة الأمريكية، ومنذ منتصف القرن العشرين، ببناء

إمبراطوريتها وإحكام سيطرتها على العالم رغبة فى ممارسة قوتها المتراكمة الهائلة، ونشر ما يسمى بالسلام المسيحى، وادعاء تنوير الشعوب بالمعارف الحديثة وتحريرها من طغيان «حكامهم المستبدين» عن طريق نشر ما يسمى بالديمقراطية الغربية، ولهم فى سبيل ذلك السيطرة على مصادر الطاقة وتقوية موقفها التنافسى مع قوى أخرى محتملة الظهور، ولأطول مدة ممكنة، وقد يتم هذا بدفع خفى من اللوبى اليهودى الذى يريد أن تقوى «إسرائيل» المستعمرة الاستيطانية تمهيدًا ـ فيما أعتقد ـ لتصفية حسابهم فى المستقبل مع الكراهية والتعصب الأوروبى نحو اليهود المقيمين بينهم على مدى قرون من جهة، ولسيطرة الغرب على منطقة الشرق الأوسط وإعادة تشكيلها على أسس جديدة أساسها ما يسمى اعتدال دولها وتوافق شعوبها مع الرؤية الأمريكية لعالم اليوم من جهة أخرى.

إن هذه الرؤى الأمريكية، والغربية على العموم، لها جذور تاريخية وثقافية ونفسية عميقة، وليست جذورًا علمية مجردة أو عقلانية منطقية خالصة، فالعلم والعلماء لا يقودون الشعوب ولا يوجهون سياسات الحكومات إلا بقدر محدود ومتفاوت بين الدول.

فى بعض الأحيان يكون العلماء خاضعين لميول حكامهم؛ تلك الميول التى تشكلها عوامل نفسية عميقة. بل إن حكومات الولايات المتحدة لجأت فى العقود الأخيرة إلى إنشاء مؤسسات علمية تغدق عليها المال للقيام ببحوث «علمية» موجهة لأهداف مسبقة، وخاصة فى مجالات العلوم السياسية والاقتصادية بغرض تأييد توجهاتها وتبرير سلوكها، وتعطى الشرعية والمرجعية الأخلاقية لسياساتها فى العالم. وبكل أسف هناك من المفكرين من قَبلَ العمل تحت مظلة هذه المؤسسات وبرروا هذا لأنفسهم بأعذار متعددة أمثال «روستو»(*) فى الستينيات و«هنتنجتون»(**) فى تسعينيات القرن العشرين. وعلى ذلك يتطلب الأمر نظرة بانورامية لما يجرى.

(*) أحد الأساتذة الذى عمل مستشارًا للأمن القومى الأمريكى، وكان كل همه إيجاد أسباب أخرى غير الاستعمار سببًا فى تخلف دول العالم الثالث، وقطع طريق معونتهم من الدول ذات النظام الاشتراكى فى ذلك الحين.

(**) أحد الأساتذة الدارسين الذى قدم للمجتمع الأمريكى فكرة تصادم الحضارات، ووضع الإسلام على رأس أعداء الحضارة الغربية، وقد قام فى بداية حياته العملية بالدعوة إلى العنف والحرب فى ڤيتنام؛ لأن فى ذلك الوسيلة الناجعة فى رأيه لوقف المد الاشتراكى فى العالم.

تقول الأساطير اليونانية القديمة إنه كان هناك ملك لدويلة صور الفينيقية له ثلاث بنات غير شقيقات؛ إحداهن تدعى «أوروپا» وهى أجملهن، قام إلههم زيوس باختطافها وأنجب منها ذرية عاشت فى المنطقة التى سميت على اسمها «أوروپا» والأختان الأخريان هما «آسيا» التى بقيت فى الشرق و«ليبيا» التى رحلت إلى الجنوب، وكلتاهما أنجبتا ذرية عاشت فى المنطقة التى سميت على اسم أمهم «آسيا وليبيا».

ويلاحظ هنا التشابه مع ما أتى فى الكتب المقدسة عن سكان المعمورة فى الزمن القديم، وأنهم ينحدرون من أبناء النبى «نوح» بعد الطوفان العظيم، وهما «يافث» فى الغرب و«سام» فى الشرق، و«حام» فى الجنوب، وأن ذرية يافث ستحكم ديار أبناء سام وحام، ولاحظ أن النسب عند الإغريق كان للأم وعند الشرقيين أصحاب الديانات السماوية كان للأب (انظر الباب الأول).

فى اليونان القديمة حاول فلاسفة الإغريق توصيف سكان مناطق العالم المعمورة.

وينسب إلى أرسطو (الفيلسوف الإغريقى الأشهر) أنه قسم البشر إلى سكان المناطق شرق أثينا وآخرين غربها، وقام بتوصيف الشرقيين بأنهم أقل حركة ونشاطًا، ولكنهم أكثر ذكاءً من الغربيين، وأرجع ذلك إلى اختلاف المناخ (البرد فى الغرب والحر فى الشرق)، وكان أساس التقسيم هو حركة الشمس وموقع أثينا، ولكنه فيما يبدو لم يبرز فروقًا بدنية، وقد يكون ذلك لأن الفرس الشرقيين، أعداء الروم القدامى التقليديين، كانوا يشبهون الروم بدنيًا وفيزيقيًا، حيث إن أصولهم قبائل أوروپية تحركت شرقًا من المنطقة الواقعة بين نهر الدانوب ومرتفعات أوكرانيا، واستقروا فى منطقة بلاد فارس وشمال غرب الهند منذ مايقرب من خمسة آلاف عام قبل ميلاد السيد المسيح.

أما عبد الرحمن بن خلدون فى كتابه «العبر . . .» مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادى، فقد قام بتقسيم العالم المعمور وسكانه حينئذ إلى أهل الشمال وأهل الجنوب، وذكر الفروق البدنية بين الصقالبة أهل الشمال، حيث البرد والثلوج، فهم بيض الجلود، ملونو العيون والشعر، وبين أهل الجنوب، حيث الحر، فهم سود الجلود، ومناطق الوسط وهى أعدلهم مناخًا، فسكانها وسط بين السواد والبياض.

obeikandi.com

كان لآراء أرسطو سلطة معرفية قوية فى أوروبا بعد عصر النهضة، تلك الآراء والمعارف التى وصلت لمفكرى أوروبا عن طرق متعددة، وأهمها كتابات القس توماس الأكوينى، والذى تعلم على يد ابن رشد الفيلسوف المسلم، والشارح الأعظم لفكر أرسطو(*).

كما انتقلت آراء ابن خلدون لأوروبا، وأُعتُبر بواسطة بعضهم هناك بأنه مؤسس لعلم الاجتماع.

وأصبحت العقلية الغربية ترى فى الإنسان الشرقى والجنوبى شيئًا واحدًا (الآخر اللاغربى)، وألبسته نمطًا خاصًا معينًا من البشر يجمع بين صفات بدنية (عرقية) ووظيفية (نفسية سلوكية) مميزة عن الإنسان الغربى، والذى اعتبروه أيضًا نمطًا خاصًا متميزًا بمواصفات خاصة.

لقد تأثر المفكرون الأوروپيون بتلك الآراء السابقة حتى إن الفيلسوف الفرنسى الشهير «مونتسكيو» أضاف مثل غيره أن أبناء «يافث» الأوروپيين يسعون دائمًا للحركة والاجتهاد فى العمل ولا يقبلون الطغيان، أما الآخرون فى آسيا وإفريقيا فيميلون إلى الاستكانة وقبول العبودية والخنوع لاستبداد حكامهم، وضرب المثل على ذلك بطغيان حكام الإمبراطورية العثمانية ونعتها بكل سلبى وقبيح، وهناك من المفكرين الغربيين من ينتقد هذه الآراء ويقول إن مفكرًا فى حجم مونتسكيو الذى قدم أحد أعظم الأعمال الفكرية عن القانون والحكم «روح القوانين» لا يمكن أن يغض الطرف عن طغيان أمراء الإقطاع فى أوروبا ويركز على عيوب الحكم فى الإمبراطورية العثمانية، وأن معظم آرائه عن الاستبداد التركى ما هو إلا إسقاط لآرائه فى أمراء الإقطاع الأوروبيين(**).

(*) رأى ابن رشد فى فكر أرسطو غائية مشابهة لغائية الأديان السماوية، فكل شىء وكل حركة لغاية وليست مصادفة أو عشوائية.

(**) لم تعرف معظم دول أوروپا الديمقراطية المعاصرة إلا فى القرن العشرين... إسپانيا والبرتغال فى الثلث الأخير منه، وفرنسا والنمسا وألمانيا وإيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية، وفى الواقع لم تصبح كل من ألمانيا وإيطاليا دولة إلا فى نهاية القرن التاسع عشر، أما إنجلترا، والتى تزخر كتب التاريخ التقليدية بقدم الديمقراطية فيها، فقد قاست فى القرن التاسع عشر من كافة الأمراض الاجتماعية، وتنضح روايات شارلز ديكنز وغيره بذلك.

وترجع هيمنة غرب أوروپا على العالم ـ فى جزء كبير ـ إلى سبقها فى تكنولوچيا السلاح، واستيلائها على مناجم ذهب وفضة أمريكا، مع استباحة الآخر.

إن هناك بين أسلافه من المفكرين الأوروپيين من يمدحون الأتراك العثمانيين، ويرون فيهم كثيراً من الصفات الإيجابية والمميزات التى تفوقوا بها عن الأوروپيين، وذلك فى أثناء قوة الأتراك وانتصاراتهم واتساع إمبراطوريتهم فى أجزاء أوروپا المتاخمة لها وهذا من صفات العقل الأوروپى (الإعجاب بالمنتصر).

كان التصور البازغ فى عقول المفكرين الأوروپيين ابتداءً من القرن الثامن عشر حتى اليوم، إن الحضارة الأوروپية (الغربية) هى حضارة لها جوهر خاص فريد ومختلف جوهريًا عن الثقافات الأخرى بنيت على استمرار وتماسك عبر القرون، وقد ولدت فى أثينا القديمة وبعثت من جديد مع عصر النهضة(بعد عصور الظلام) منذ القرن السادس عشر، وأصبحوا يعتقدون الآن بنبل وسمو هذه الحضارة الغربية مقارنة بغيرها من الحضارات.

يُلاحظ أن الدارس الغربى الأمريكى للأوضاع الاجتماعية فيما يسمونه الشرق الأوسط، وطموحات شعوبه وتطلعهم إلى الحرية والمعرفة والتقدم، يلجأ إلى تصور نمط ثابت غير متغير لسكانه، نواته الدين الإسلامى ويقوم بتسميته كنوع خاص من البشر (Homo-Islamicus)، ويبدأ فى وصف سمات هذا النوع وتقييمها منطلقًا من مفهوم أن الإنسان الغربى (والمجتمع الأوروپى الأمريكى) هو النمط المعيارى الذى يقيس عليه التشابه والاختلاف، فكل تشابه هو علامة تقدم، وكل اختلاف هو علامة تخلف، ولا يستطيعون النظر لنوعية الخلاف بأنه قد يكون أنسب وأحسن لهذه المجتمعات بحجة أنها تفتقر لعناصر نفسية واجتماعية ضرورية للتقدم (هكذا!).

وما دام أن الإنجاز التكنولوچى المعاصر المبنى على معارف علمية قد تم بصورة رئيسية فى الغرب خلال القرون الثلاثة الماضية، فإن وصفهم للآخر يكون من منطلق الشعور العميق بالتفوق والحق فى السيادة والهيمنة (فيما يسمى بالعقلية المركزية الأوروپية)(*). وظل هذا الفكر مسيطراً على عقلية الكثير من الدارسين من ذوى القامات العالية، والتأثير المعنوى فى الفكر الغربى عامة، أمثال كارل ماركس وماكس ڤيبر وهاميلتون جيب وغيرهم.

(*) وهى تسمية رقيقة لطيفة للأنوية الأوروپية.

أصبح الفكر السائد فى الغرب اليوم، بين المفكرين والجماهير على السواء، بأنهم سادة العالم الحديث ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا، وهم القوة القائدة فى تاريخ العالم، ونقلوا الهوة العظيمة بينهم وبين أسلافهم فى القرون الوسطى (من القرن الثالث إلى القرن الحادى عشر الميلادى) إلى هوة سحيقة بينهم وبين الآخر، وخصوصًا العربى المسلم، والذين قد يعتبرونه بدائيًا وأن الطريق الوحيد للتقدم هو تقليد الغرب فى كل أفكاره وسلوكه.

يقولون تبريرًا لذلك أن العقلية الغربية لها مميزات تختلف عن العقلية العربية الإسلامية، وعلى سبيل المثال:

الغربى نشط مجتهد يميل إلى الحرية ويدافع عنها بروحه، ويميل إلى العقلانية، بل يؤمن بها وبأن المعرفة العلمية التى يسعى دائمًا لها لا يمكن أن تنبع إلا من عقل الإنسان وحده، وعلى ذلك يعطى أهمية خاصة للتطوير التكنولوچى والاقتصادى، ويقولون أيضًا إن عند الغربى ما يكفى من الفضول الفكرى ليبحث ويحاول معرفة الطبيعة وقوانينها مما أدى للتفوق العلمى الكاسح للعالم الأوروبى الأمريكى، والذى استعمله بما يمتلكه من روح الاختراع إلى التقدم التكنولوچى الفائق، والتقدير العميق لعنصر الزمن والاهتمام بقياسه وإدخاله فى أعماله وتعاملاته مما دفع التقدم التكنولوچى بشدة إلى الأمام.

ويتعرض بعض الدارسين فى الغرب إلى دراسة العقل العربى الإسلامى وطبيعة عمليات التفكير عنده، فقالوا إن الشرقى عمومًا يركن للكسل والتواكل ويميل إلى العبودية، ولا يثور على الاستبداد والفوضى، ويميل إلى معرفة مجمل الأحداث والأشياء ومعرفة الصور الكلية والاتجاه العام، ولا يميل إلى دراسة التفاصيل والدقة فى رصدها وترتيب معارفه، وعلى ذلك لا يقدر على ربط الأحداث، ويفتقر إلى الشعور بالقانون والنظام ويكره التفكير العقلانى، وأخلاق المنفعة المرتبطين ببعضهما ارتباطًا لا ينفصل، ويقولون عندما حاول واجتهد بعض المفكرين المسلمين منذ ما يقرب من ألف عام ـ المعتزلة وإخوان الصفا ـ اللجوء إلى العقلانية المنطقية تحت تأثير الفكر الإغريقى، رفض «اللاهوتيون» المسلمون هذه الاجتهادات التى انزوت فى ركن تاريخ تلك الحضارة. . . وقالوا إن العقل الشرقى شغل نفسه بعظائم الأمور؛ أصل الإنسان ومصيره ـ من أين أتى وما مقره بعد الوفاة، وهى مسائل معقدة تفوق قدرة

obeikandi.com

العقل الإنسانى على حلها، ولذلك انجذب العقل الشرقى عمومًا نحو «العالم غير المرئى».

هذا ويضيفون بأن تمتع الأوروبى بروح المغامرة دفعه إلى أن جاب البحار والمحيطات مع بداية القرن السادس عشر، واكتشف العالم الجديد؛ «ثلاث قارات كباراً والعديد من الجزر» - وتعرف على طبيعتها وثرواتها وسكانها، وقام بجعلها عماراً (الاستعمار) بعد أن كانت خرابًا. هذا باختصار هو الإطار الفكرى لادعاء التفوق الغربى والتقدم على سائر الشعوب، والذى تم تأسيسه على الآتى:

١ - اختلاف الصفات البيولوچية وإضفاء الشرعية على استعباد الآخرين من الأفارقة والهنود الحمر والأسيويين؛ لأنهم أدنى درجة أو درجات فى الإنسانية. وقد ثبت علميًا خطأ هذا التوجه، وأن الفروق البيولوچية تساعد على معرفة خصائص الشعوب وتصنيفها، ولكن ليس لها أى مردود ثقافى أو فكرى، واستخدامها للتمييز بين الناس تجاوز وتعصب فاضح للذات «انظر الباب الثالث»، وأن العنف والقسوة والحيلة كانت وسائلهم فى استغلال الآخر واستعباده، وإذا لزم استئصاله كما حدث فى أمريكا وإفريقيا وأستراليا لتجميع الثروة لهم.

٢ - كثيراً ما أثار المستشرقون الغربيون حال المرأة الشرقية، ورأوها عبدة لأطماع الرجل وشهواته، ذلك المستبد الطاغية فى بيته مفرط الشبق، ويستخدم المرأة لإشباع هذا الشبق فقط، ولا يعتبرها إنسانًا مساويًا له فى الحرية والسيادة، وذلك كتعويض مما يذوقونه هم من حكامهم من استبداد وشراهة... إن ضرورة نشر العدالة تدفعهم إلى استعمار تلك الشعوب وتدريبها على المساواة بين الجنسين، وفى ذلك تأكيد لتفوقهم الأخلاقى!

٣ - ورد فى التوراة تمييز أبناء يافث ورضا الله عنهم، فهم الأحق بحكم العالم وتناسوا أن كل شعب يفخربنفسه، وتراثه وعقائده بل إن القرآن يقول للمسلمين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وتلك الآراء فيها الفهم كما فيها سوء الفهم، فيها التشويه وفيها الحياد، فيها إظهار بعض العيوب وتركيز الضوء عليها وتضخيمها، وفيها أيضًا الإخفاء والتعتيم على كثير

من المميزات والإضافات المعنوية للإنسانية، فيها الإسقاط الشخصى وفيها الموضوعية، فيها النقل المحايد، كما فيها من الإثارة والغريب الشاذ من وضع خيالهم وسلبيات خلقهم.

وما كانت هذه النظرة لتقوم لولا وضعهم غطاء كثيفًا من الأنانية والتعصب وحب الهيمنة على الآخر. وضع هذا الغطاء على أبصارهم وبصيرتهم، فلا يرون ولا يتذكرون كيف تشكلت الثقافة اليونانية القديمة وأثر الحضارة المصرية الفرعونية فيها، وكيف تعلم معظم فلاسفة الإغريق القدماء على أيدى المصريين فى معابدهم لسنوات طوال، وما تأثير ثقافة الفرس والشرق عمومًا فى إمداد الإغريق بالمعارف والخبرات، نعم لقد استوعب مفكرو الإغريق القدماء تلك المعارف العملية من مصر والشرق عمومًا، وقاموا بإعمال العقل فيها وتنظيرها، لكن هذا لايدعو إلى تجاهل الأصول وحقائق التاريخ الإنسانى.

أيضًا تم التعتيم التدريجى على دور الثقافة العربية الإسلامية كدافع ومحرك لعصر النهضة الأوروبية، وإن كان مفكرو القرن الثالث عشر - السادس عشر قد ذكروا مصادر معارفهم عن علماء العرب المسلمين، ولكن بدون فهم صحيح أو عميق لمحتوى هذه المعارف، وعندما استوعبوا محتواها الفكرى والإضافة إليه بدءوا فى عدم ذكر المصادر (هذه صفة أخرى من صفات العقل الغربى: تجاهل فضل الآخر إن أمكن).

من العناصر المميزة للسمو الإنسانى هو الضمير؛ ذلك الرقيب الداخلى القابع فى أعماق العقل، يدفع الإنسان إلى عمل الخير ومنعه من عمل الشر، هذا الرقيب غير المرئى مرتبط بالجانب الروحانى من إنسانية الإنسان التى يؤمن بها المسلم، وفى ذلك يختلف عن فكر الفلاسفة الغربيين المعاصرين الذين يصدقون الرقيب المرئى من الخارج؛ أى القانون الوضعى، والذى يحدد لهم ما الشر وما الخير، وإذا اختفى هذا الرقيب الخارجى يكون كل شيء مباحًا؛ ولذلك تركز إدارة تلك المجتمعات الغربية على القانون، وتجعل احترامه وسيادته على الجميع هو العمود الفقرى الذى بُنيت عليه حضارتها الحديثة. وأعتقد اعتقادًا كاملاً أن ذلك أساسى ومطلوب فى كل المجتمعات؛ شرقية وغربية، إسلامية وغير إسلامية لضبط حركة المجتمعات والترتيب

لتحسين حال معيشتهم، ولكن أعتقد أيضًا أنه إذا أُضيف الضمير، ذلك الرقيب الداخلى، وكان فاعلاً فى النفس الإنسانية، فتكون قوة التنظيم مضاعفة وصفاء النفس سائدة، ولا يصح أن تكون تربية الضمير بديلاً عن احترام القانون، أو دليلاً على الانجذاب نحو غير المرئى ومدخلاً للتخلف الإنسانى كما يدعى بعض مفكرى الغرب.

إن هناك مرحلة من النضج تصل إليها بعض المجتمعات الإنسانية تستطيع عندها أن تحدد مصالحها واحتياجاتها، ثم تخطط وتعمل على تحقيق هذه الاحتياجات على أحسن ما يكون بأقل جهد وطاقة مبذولة وفى أقل وقت ممكن. ونظرة إلى تاريخ الإنسان تجعلنا نرى أن هذه المرحلة من النضج نسبية حسب ظروف العالم فى وقتها فكونت بعض الشعوب إمبراطوريات مسيطرة كالفرس، والروم قديمًا، والعرب والمغول فى العصور الوسيطة والأوروبيين حديثًا.

يرى المفكر والفيلسوف الألمانى هيجل أن التاريخ الإنسانى ما هو إلا تتابع للحضارات، فتُولد حضارة وتنمو حتى النضوج وتسلم الراية لحضارة أخرى، وتبدأ هى فى الانزواء والهرم، لتبدأ الحضارة الجديدة نفس المشوار، وقد ظهرت حضارات فى الشرق فى مصر وآسيا، وقدمت للإنسانية فكرة التوحيد (ولم يذكر طرق الزراعة والنحت والبناء وحروف الهجاء والرياضيات ... وغيرها) كما قامت الحضارة العربية الإسلامية بحفظ التراث اليونانى والرومانى (حسب رأيه)، وقدموه لأوروبا لتبنى الحضارة الحديثة مستفيدة من كل التجارب الإنسانية السابقة.

يعتقد المؤرخ الإنجليزى الشهير توينبى، والذى تتبع إحدى وعشرين حضارة على مدى التاريخ الإنسانى المعروف، أن انهيار حضارة ما واضمحلالها النهائى يكون بسبب عدم استجابتها للتحديات الأخلاقية التى تجابهها! (هل يمكن اعتبار ذلك دليلاً على قرب انهيار الحضارة الأمريكية المعاصرة؟! فالحروب الأمريكية المباشرة وغير المباشرة، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، كلها مبنية على أكاذيب الرسميين وقيام إدارة الدولة بتخويف وإرهاب الشعب الأمريكى بقسوة مما سيلقاه على أيدى الآخرين الحاقدين، وإذا لم يقوموا بتلك الحروب، فهى فى النهاية دفاع عن ممتلكاتهم ودمائهم -

ولكن الشعب الأمريكي يكتشف سريعًا التلفيق والتضليل فى تلك الادعاءات من حكامهم كما حدث فى ڤيتنام والعراق(*) . . . وغيره .

بدأت الحضارة الإسلامية فى الصعود بدءًا من القرن الثامن الميلادى ، واستمرت فى الصعود والازدهار حتى القرن الحادى عشر ، ثم توقف الصعود وأخذت القابلية للإبداع واستيعاب الجديد الإبداعى الإيجابى تقل تدريجيًا (حتى لو ظهر فى بيئات أخرى وبين شعوب أخرى) ، وشكل العثمانيون مع بداية القرن الخامس عشر حركة انتعاش للحضارة الإسلامية ، ولكن بمفهوم تركى وتوجهوا للقوة العسكرية والتوسع الإقليمى ، وأغفلوا أو لم يوفقوا فى مجاراة الفكر الأوروبى الناهض ، وعجزوا عن الاستفادة بالإنجازات الفكرية والعلمية والصناعية فى أوروبا خلال عصور التنوير والعقل (من القرن السابع عشر إلى القرن العشرين) وانزلق المجتمع الإسلامى على العموم إلى الركود الثقافى وسوء الإدارة .

ولكنى أعتقد أن الحضارة الإسلامية لم تصل إلى قمتها بعد ؛ لأن جوهرها الحقيقى لا يظهر ويفيض لخير الإنسانية إلا إذا كفلت الاحتياجات المادية لأفرادها ، عن طريق المعارف والعلوم الحديثة وتطبيقاتها التكنولوچية المتطورة .

وأعتقد أن الجوهر الفريد والروح الخاصة بالعقيدة الإسلامية تتركز فى قيم العدل والإحسان والتراحم . العدل الحق لا يتحقق إلا بحرية الفرد ، وانطلاق فكره ، وعواطفه بشرط ألا يجور على فكر وعواطف الآخرين ، والمساواة بين الأفراد فى كل الحقوق والواجبات ، وتكافؤ الفرص فى العمل ، فيقوم كل فرد فى أداء ما يجب وما يتناسب مع مواهبه ، وإمكاناته مع عدالة فى توزيع نتاج العمل بين المواطنين فيكون لكل فرد نصيب عادل من ثروة بلده طبقًا لجهده وإمكاناته بلا ظلم .

(*) زعم الرئيس الأمريكى بوش وإدارته امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل ، فقام بغزوه مع الدول الحليفة والتابعة والطامعة ، ثم تبين كذب الرئيس ، فتغير سبب الغزو إلى علاقة العراق بهجمات ٩/١١ ، وتبين زيف الزعم الثانى ، فتغير إلى علاقة صدام بالقاعدة ، ثم تبين لثالث مرة زيف الزعم الثالث ، وكل ذلك على مسمع ومرأى العالم كله . . . فإذا بالرئيس الأمريكى يحول السبب إلى أن الغزو لنشر الديمقراطية فى العراق والشرق الأوسط . . . وبالطبع لا يصدق أحد ذلك . . فلم يخجل الرئيس أن يحول مهمة الغزو إلى حماية حلفائه فى الشرق الأوسط من الخطر الإيرانى ، وبمثل هذه الأكاذيب ، واستباحة الآخر ، هيمن الغرب ، بعد سبقه فى تكنولوچيا السلاح ، واستيلائه على فضة وذهب أمريكا .

أما الإحسان فهو الإخلاص فى العمل وتجويده وأن يعطى الإنسان كل ما يستطيع من جهد؛ لأن الخالق يراه فيتقن هذا العمل ويحبه الخالق، كما أن الإحسان هو عطاء مباشر من الجهد والمال لمن يحتاج ويستحق.

التراحم ونشر المودة بين الناس، والأقربون أولى بالمعروف، والتفضيل هنا للترتيب وليس للتخصيص، أى أن التراحم وإيتاء ذوى القربى ليس فى الأسرة البيولوچية فقط ولكن بين البشر أجمعين، فإن لم نكن أخوة بالمورثات فنحن أخوة فى الدين وفى الإنسانية، بل من المحمود أن تكون المودة مع جميع المخلوقات التى تشارك الإنسان الحياة من حيوان ونبات.

يهمنا فى العالم المعاصر أن نلقى نظرة فاحصة على ما يجرى، ووضعنا فيه كمصريين وعرب، وتقييم درجة تقدمنا وتخلفنا بمقاييسه كخطوة أولى.

لقد وجد الأوروپيون أهدافهم ومصالحهم بعد عصر النهضة فى التحرر من سيطرة كهنوت الكنيسة المسيحية، ثم فى الاكتشافات الجغرافية ومسح الكرة الأرضية، ثم فى دراسة الطبيعة ومعرفة قوانينها، ثم فى دراسة البشر المشاركين لهم الكرة الأرضية ومعرفة مواصفاتهم الجسدية وثقافاتهم، وقيمهم وعاداتهم؛ كل ذلك لتحقيق هدفين: الأول هو الاكتفاء الغذائى والاقتصادى، والثانى هو حماية ما يحصلون عليه من ثروة عن طريق تنظيم وتطوير وسائل القوة، وفى ذلك تحقيق لاحتياجاتهم النفسية من سيادة وهيمنة على الآخرين، بل إن دراساتهم للثقافة العربية الإسلامية، والتى تم بناؤها على دين جديد، وفكر جديد مع معارف السابقين فى الشرق والغرب، أنتجت من المعارف والعلوم ما كان هو الهيكل الصلب الذى ارتكزت عليه وأتاحت لهم تكملة البناء بوسائل جديدة كما سبق تفصيله.

لقد هاجر كثير من الأوروپيين إلى العالم الجديد ـ أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا ـ يجذبهم حلم الثراء وجمع الذهب والفضة، ويدفعهم التمرد على القديم وقيوده على أمل الحرية والانطلاق ويحملون معهم تراث الإنسانية من معارف وعلوم وفنون، وإكسير التقدم المبنى على معرفة الطبيعة وقوانينها، والعمل على استغلال هذه المعارف فى صناعة وزراعة وبناء، وساعدتهم دولهم فى أول الأمر، بل أرسلت

جيوشها من إنجلترا، وفرنسا، وهولندا، وإسپانيا، والبرتغال لاحتلال تلك الأرض وإخضاع ساكنيها، وإن لم يقبلوا مشاركة وسيادة الوافد الجديد، أجبروهم على هذه المشاركة بالقوة والقهر، والإبادة أحيانًا.

واستطاع السكان الجدد للعالم الجديد تكوين مجتمعات مترابطة استطاعت فى نهاية المطاف التمرد على دولها الأصلية، وتكوين دول جديدة «مستقلة»، استطاعت إحدى هذه الدول أن تبنى إمبراطوريتها، وتتحكم فى العالم مع بداية القرن الواحد والعشرين الحالى، وهى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولنضرب مثلاً واضحًا لوسائل التضليل التى تستخدمها الإدارات الأمريكية لإعاقة التقدم فى منطقتنا العربية.

يدعى الفكر الأمريكى فى كتاباته الجارية «أن النظم القومية فى مصر وسوريا فى النصف الثانى من القرن العشرين انتهجت سياسة عقيمة، فبدلاً من أن تقوم ببناء عالم عربى متحد وتدفعه نحو الاستقلالية الاقتصادية وتنميته ودفعه نحو التصنيع الحديث، دخلت فى مواجهات طائشة مع الغرب وإسرائيل نتج عنها هزيمة مهينة لجيوشها ونزعت المصداقية عن ناصر ونظامه الذى مات فجأة».

أما الحقائق الموثقة فهى:

١ ـ حاربت الولايات المتحدة والغرب الوحدة العربية ـ بالسياسة المعروفة: فرق تسد ـ بوضع الأسافين بين الحكام العرب، وخصوصًا بين مصر والسعودية.

٢ ـ إعاقة النمو الصناعى والاقتصادى فى مصر بالحصار، وترهيب الخبراء الأجانب وسحب تمويل السد العالى، وزرع بذور الشك فى قدرة المصريين على عمل شىء مفيد (زادت هذه النبرة أخيراً بالتركيز على الآثار الجانبية للمشروع، وخاصة بين الشباب، رغم أنه أنقذ مصر من الفيضانات وفترات الجفاف).

٣ ـ التخطيط الخثيث لكشف الأخطاء، وعدم مهنية العسكريين المصريين فى تلك الفترة وجرهم إلى مواجهة لا يريدونها مع الجيش الإسرائيلى المدعم معلوماتيًا، وخططيًا، وتسليحًا من الغرب مما أدى لهزيمة ١٩٦٧.

٤ ـ لم يمت ناصر فجأة ولكن بعد هذه الهزيمة وتداعياتها من خلافات بين العرب.

لقد كان حكام الغرب فى أوائل القرن العشرين يعتقدون أن سيطرتهم على شعوب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والهند وغيرها سيطرة أبدية، وأن استعمارهم لتلك الأجزاء استعمار خالد، مثله مثل استعمار إخوانهم للعالم الجديد فى الأمريكتين وأستراليا، ونظراً لغرور القوة لم يفطنوا للفروق الجوهرية بين سكان المنطقتين من العالم (منطقة العالم الجديد ومنطقة الشرق الأوسط) تاريخيًا وحضاريًا، فما كادت منطقة الشرق الأوسط تتحرك مع منتصف القرن العشرين حتى تحركت باقى الأجزاء فى إفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية، بل زادت حركات المطالبة بالحقوق المدنية للأفارقة الأمريكيين فى الولايات المتحدة ذاتها، وكل ذلك شكل عقبات حقيقية أمام طموحات الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية فى السيطرة على العالم وإحلال إمبراطوريتها محل إمبراطوريات «أوروبا القديمة».

بل إنى أعتقد أن بناء الإمبراطورية الأمريكية الحديثة صار سهلاً بعد موت عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ م وهناك العديد من الدلائل على ذلك!

لقد شهدت نهاية القرن العشرين انتكاسة قاسية للقيم الإنسانية التى تعارف عليها البشر قبل هذا التاريخ، حين كان الهدف لحياة الإنسان هو تنميتها وتطوير المجتمعات الإنسانية بمحاربة الأعداء الثلاثة ـ الفقر، والجهل، والمرض ـ ولكن فجأة انكشف الغطاء عن التقدم الأوروبى الأمريكى بصورة لم يسبق لها مثيل، وأصبح واضحًا للجميع أن هذا التقدم ما كان يمكن أن يتم دون استعباد الآخرين واستغلال طاقاتهم واستنزاف ثرواتهم، وأن ذلك السلوك كان عنصراً رئيسيًا فى بناء وقوة العالم الغربى المسيطر، وبدلاً من أن يساعدوا الفقراء حتى يتغلبوا على الإملاق، زادوهم فقرًا (إن لم يكن مطلقاً فنسبيًا، حيث زادت الفروق بين الأغنياء والفقراء على مستوى الطبقات داخل الدول وعلى مستوى العالم أيضاً)، وبدلاً من تعليم «الجهلاء» والمساعدة على تحسين وضعهم المعرفى، يمنعونهم من العمل لزيادة معارفهم (انظر ماذا يفعلون مع إيران) بحجة أن هؤلاء «الجهلاء» سيسيئون استخدام العلم والتكنولوچيا إذا تملكوها، وذلك ليس فى صالح المجتمع الدولى والإنسانية! (لأنهم هم المجتمع الدولى وليس غيرهم، والطبيعة البشرية فى رأيهم ترتكز على الأنانية

والمنافسة بعكس عقيدتنا أن الإنسانية تعاون وإيثار) . بل أصبحوا يستخدمون المرض كأحد وسائل الحرب والقتال، ويتم استزراع الميكروبات الفتاكة فى المعامل والمختبرات وإعدادها «ليوم المعركة» .

لقد دفعت التطورات السياسية، والاقتصادية فى العقود الأخيرة إلى فتح الباب واسعاً أمام الدراسات الأكاديمية المستفيضة فى الغرب عن الاستعمار وفلسفته، وآثاره على الشعوب المستعمرة والمستعمِرَة، ودوره فى بناء العالم بالصورة التى نراها مع بداية القرن الحادى والعشرين .

أما نحن فما وضعنا الحالى؟

يمكن للقارئ أن يحكم على وضعنا الحالى بالنظر إلى عناصر التقييم ومقاييس التقدم كل على حدة (انظر الباب الرابع)، فعليه أن ينظر إلى الإنسان المصرى، والعربى كفرد، وحالته الصحية بدنيًا، ونفسيًا . كما يجب النظر إليه كوحدة اجتماعية، وتقييم المجتمعات العربية من الناحية الصحية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية من لغة ومدى تمسكنا بلغتنا وسيلة تفكيرنا، ومدى تطويرها وتنميتها، ومدى فهمنا لروح ديننا الحنيف، وتطبيقنا لتعاليمه الجوهرية وقيمه الأخلاقية بعقول مفتوحة لاحتياجات التغيرات الاجتماعية والاقتصادية على مستوى العالم بدون خوف أو تردد، فديننا متين، وأيضًا النظر فى الأوضاع العلمية والتكنولوچية، وقياسها بمعايير السابقين لنا فى هذا المضمار من الأوروپيين، ولكن ليس بشروطهم وتطبيقاتهم لتلك المعارف .

آمل أن يكون هذا الكتاب وما قدمه من معارف وتحليلات مفيدًا للقارئ العربى ودافعًا للمزيد من القراءة، والتعلم لمعرفة ما يجرى فى أوطاننا، وفى العالم من حولنا وإدراك مكاننا فيه على الوجه الصحيح .

* * *

openkanali.com

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

* **أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٨٤٠- ٩٢٢ م):** جامع البيان فى تأويل القرآن ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة ـ ١٩٥٤ م.
* **أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبرى (٧٨٠ م) :** فردوس الحكمة ـ مطبعة أقتاب ـ برلين ـ ألمانيا ـ ١٩٢٨ م
* **أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٦ م):** القانون فى الطب ـ ثلاثة أجزاء ـ مطبعة بولاق ـ القاهرة ـ ١٨٧٧ م
* **أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (١٠٧٤ ـ ١١٤٣ م):** الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ـ مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٦ م.
* **أندريه إيمار وجانين أبوايه.Avaya ـ** : تاريخ الحضارات العام ـ فريد م ـ داغر وفؤاد ج. أبو ريحان (ترجمة) ـ المجلد الأول ـ منشورات عويدات ـ بيروت . (١٩٦٤)
* **أندريه كريسون :** ديكارت ـ تيسير شيخ الأرض(ترجمة)، دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م.
* **أنيس منصور :** الخالدون مائة وأعظمهم محمد ﷺ ـ الطبعة السابعة ـ الزهراء للإعلام العربى ١٩٩٨ م.
* **برويز أمير على بهائى بيود :** الإسلام والعلم. الأصولية الدينية ومعركة العقلانية ـ محمود الخيال (ترجمة) ـ المشروع القومى للترجمة ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٥ م.
* **بهاء طاهر :** أبناء رفاعة ـ الثقافة والحرية ـ كتاب الهلال ـ دار الهلال ـ القاهرة ١٩٩٣ م.
* **توماس كون:** بنية الثورات العلمية ـ شوقى جلال ـ ترجمة ـ سلسلة عالم المعرفة رقم ١٦٨ ـ الكويت ـ ١٩٢٢ م.
* **ثروت عكاشة:** مذكراتى فى السياسة والثقافة ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة ١٩٨٨ م
* **چان مارى بليت (بالفرنسية) :** «عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة» ـ السيد محمد عثمان (ترجمة) : سلسلة عالم المعرفة رقم ١٨٩ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ سبتمبر ١٩٨٤ .

* **جراهام إى فوللر :** جمع أيان أو. ليسر - الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة - شوقى جلال - مركز الأهرام للترجمة - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٧٧ م.

* **جلال أمين :** خرافة التقدم والتأخر - دار الشروق - القاهرة - ٢٠٠٥ م.

* **چنيفر آكرمان :** همس من الماضى - تاريخ طبيعى لعلم الوراثة - أحمد مستجير (ترجمة) - المشروع القومى للترجمة - العدد ٤١١ - المجلس الأعلى للثقافة - الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

* **چورچ سارتون :** تاريخ العلم [إبراهيم بيومى مدكور، محمد كامل حسين، قسطنطين رزيق، محمد مصطفى زياد - إشراف على الترجمة] - دار المعارف - القاهرة جـ ١ ط ٤ (١٩٧٩م) - جـ٢ ط ٣ (١٩٧٨م) - جـ٣ (١٩٧٨م).

* **الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشى (١٣٠٠ - ١٣٧٢ م) :** تفسير ابن كثير - مطبعة المنار - القاهرة - ١٩٢٨ م.

* **حسن حامد عطية :** خلق الإنسان بين العلم و القرآن - مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله - تونس - ١٩٨٧ م

* **دماسيو، دماسيو :** الدماغ واللغة - مجلة العلوم (الكويت) المجلد ١٠ العدد ٥ - ١٩٩٤ م.

* **رجاء النقاش :** عباقرة ومجاهدون - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٩٠ م.

* **ريتشارد نيكسون :** ١٩٩٩ نصر بلا حرب - الطبعة الرابعة: مركز الأهرام للترجمة والنشر - ١٩٩٦ م.

* **زكارى لوكمان :** تاريخ الاستشراق وسياساته - الصراع على تفسير الشرق الأوسط. شريف يونس (ترجمة) - دار الشروق - القاهرة الطبعة الأولى - ٢٠٠٧ م.

* **زكى نجيب محمود :** عربى بين ثقافتين - دار الشروق - القاهرة - ١٩٩٠ م

ـــــــــــ: أفكار ومواقف: الطبعة الأولى - دار الشروق - بيروت والقاهرة ١٩٨٣ م.

ـــــــــــ: هذا العصر وثقافته - الطبعة الثانية - دار الشروق - بيروت والقاهرة ١٩٨٢ م.

* **سليمان حزين :** حضارة مصر - أرض الكنانة - دار الشروق - القاهرة - ١٩٩١ م.

* **عباس محمود العقاد :** عبقرية عمر - نهضة مصر للطباعة والنشر - الطبعة العاشرة سنة ٢٠٠٦.

ـــــــــــ: الإنسان فى القرآن - مطبعة نهضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٣ م.

ـــــــــــ: الفلسفة القرآنية - كتاب الهلال - دار الهلال - القاهرة - ١٩٧٠ م.

* **عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى : (١٣٣٠ - ١٤٠٦ م)** - العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨١ م.

* **عبد الوهاب المسيرى :** دراسات معرفية فى الحداثة الغربية - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - ٢٠٠٦ م.

* **على بن العباس المجوسى:** (٩٤٩ ـ ٩٨١ م) ـ كامل الصناعة (الملكى) ـ جزءان ـ مطبعة بولاق ـ القاهرة ـ ١٨٧٧ م.
* **على عبد العزيز النفيلى:** مدخل إلى الأنثروبولوچيا البيولوچية ـ المركز العربى للوثائق والمطبوعات الصحية ـ أكمل ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٩٧م.
* ـــــــــــ: دراسة عن نمو الأطفال فى التراث العلمى للحضارة الإسلامية طبع ونشر ـ أكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا ـ القاهرة ـ ٢٠٠٥م.
* **على على حبيش:** استيعاب التكنولوچيا وتحديات العصر ـ أكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا ـ مطابع روز اليوسف الجديدة ـ القاهرة ـ ١٩٩٢ م
* **علاء الدين أبو الحسن على بن حازم القرشى المشهور بابن النفيس:** (١٢١٠ ـ ١٢٨٨م) ـ الموجز فى القانون ـ مخطوط رقم D578 قسم الوثائق والمخطوطات ـ الخزانة العامة بمدينة الرباط ـ المغرب.
* **فرانسيس فوكوياما:** نهاية التاريخ والرجل الأخير End of History and The last man ـ حسين أحمد أمين: (ترجمة) ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٩٣ م.
* **فؤاد زكريا:** التفكير العلمى ـ الطبعة الثالثة ـ سلسلة كتب عالم المعرفة ـ الكويت ـ ١٩٨٨م.
* **محمد أحمد الغمراوى:** الإسلام فى عصر العلم ـ إعداد: أحمد عبد السلام الكردانى ـ أربعة كتب فى مجلد واحد ـ دار الإنسان (للتأليف والترجمة والنشر) ـ القاهرة. (١٩٧٣).
* **محمد أركون:** الفكر العربى ـ عادل العوا (ترجمة) ـ الطبعة الثالثة ـ دار منشورات عويدات ـ بيروت ـ باريس ١٩٨٥ م
* **محمد عابد الجابرى:** الأبيستمولوچيا والأيدلوچيا واستقلال التاريخ من ملفات الذاكرة ـ الكتاب التاسع عشر ـ الدار البيضاء ـ ٢٠٠٣ م
ـــــــــــ: مدخل إلى فلسفة العلوم ـ الجزء الأول: تطور الفكر الرياضى والعقلانية المعاصرة ـ الجزء الثانى: المنهاج التجريبى وتطور الفكر العلمى ـ دار النشر المغربية: الدار البيضاء ـ المغرب١٩٧٦ م.
* **محمد الجوادى:** أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٩٩٠ م
* **محمد طنطاوى:** فلسفة الجمال الداخلى (بين الدين والأدب) ـ المركز المصرى العربى ـ القاهرة ـ ١٩٩٢ م.
* **محمد فوزى جاب الله:** التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى ـ المطبعة العالمية ـ ش ضريح سعد ـ القاهرة ـ ١٩٩٢ م.
* **محمد كامل حسين:** وحدة المعرفة ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة. (١٩٧٤).
* **محمود إسماعيل:** فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة ـ ٢٠٠٥ م.

* **مصطفى عوض:** الانتخاب الطبيعى ـ رسالة ماجستير ـ كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ـ ١٩٨٠ م.

* **موريس بوكاى:** القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ـ ترجمة من الفرنسية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ م.

* **ول ديورانت:** قصة الحضارة (الشرق الأقصى ـ الصين) ـ محمد بدران (ترجمة) ـ الجزء الرابع ـ (لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة) ـ ١٩٥٧ .

———— : قصة الحضارة (الحضارة الرومانية) ـ محمد بدران (ترجمة ـ) ـ الجزء الثالث من المجلد الثالث ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٥م

———— : قصة الحضارة (حياة اليونان) ـ محمد بدران (ترجمة) ـ الجزء الثانى من المجلد الثانى ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ م.

———— : قصة الحضارة (الهند وجيرانها) ـ زكى نجيب محمود (ترجمة): الجزء الثالث من المجلد الأول ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ م.

❊ ❊ ❊

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- Aguirre E
Facts, Dates and theory on the origin of modern humans.
Journal Human Ecology , vol.4:3-36,1994.

- Ashley Montague, MF.
An Introduction to Physical Anthropology .
Charles C. Thomas , Springfield, ILLINOIS,1945.

- Beals,R.L,and Haijer,H
An Introduction to Anthropology
Second Ed ,MacMillan Co,New york, 1964

-Cavalli- sforza,L.L and Bodmer, W.E.
The genetics of human populations
Freeman publ. Co, San Francisco , 1971.

-Charles Darwin
The origin of Species.
6 th ed. The ed. With Introduction by Sir Gavin de Beer
The World's Classics, oxford,1956.

-Chomsky,N.

Knowledge of language : its nature,origin and use.

Greenwood press, 1986.

-Chomsky, N.

Language and mind.

Cambridge Univ. Press,1972

-Coon,C.s, Garn,S.M.,Birdsell,J.B.

Races ,A study of the proplems of race formation .

Charles C. Thomas, Springfield,Illinois,1955.

-Downs,JF,Bleibtrau,H.F.

Human Variations-An Introduction to Physical Anthropology.

Benziger Bruce and Glencoe, Inc.,Toronto, Canada, 1972.

-Hoijer,H

The nature of language .

In: Exploring the ways of mankind .Goldschmidt, W.(ed) Holt , Rinehart and Watson Inc .N.Y.1977.

-Hubbard, J.

The biological basis of mental Activity .

Addison Wesley publ., Massachussets, California, London, Amsterdam, Ontario, Sydney, 1984.

-Hewes, G.

Primate Communication and the gestural origin of Language .

Current Anthropology,14:24,1973.

-Kohen,D.E.

DNA evoluation data and its relevance to mammalian Phylogeny. In: Molecular Anthropology ,Goodman ,M.and Tashiany, R.(eds.)

Plenum Press, New york.1976.

-Lasker,G.W.

The evolution of man.

Wayne State University Press,Michigan,1965

-Le Vien ,R.A.

Culture, Behavior and personality.

Second Edition,Aldine Publishing company, New York 1982.

-Nestruch,M.

The origin of man

Progress Publishers, Moscow ,1967.

-Smith,F.H and Spencer,F .(eds.)
The origin of modern Humans.
Alan R,Liss Public, New York, 1984.
-Sims,A. and Hume,W.
Lecture notes on behavioral sciences .
Blackwell Scientific Public, oxford, London.1984.
-Stern,C.
Principles of human genetics.
W.H. Freeman and Co,San Francisco ,1973.
-The Encyclopedia Americana.
Int.edt., Vol. 9,27, Grolier Inc., Connecticut,
U.S.A. 1983.
-Tobias, P.V.(ed.)
Hominid Evoluation:Past, Present and future.
Alan R. Liss Public, New York, 1985 .
-Torsten Malmberg
Human Territoriality
Mouten Publ . The Hague. Paris,new York,1980.
-Trinkaus, E.(ed.)
The emergence of modern humans.
Cambridge University Press, Cambridge, 1989.
-Vital Statistics of the united States
National Centre for Health Statistics
Hyattsville, Maryland, 1984
-Whorf, B.H.
Language, thought and reality.
In exploring ways of mankind. Goldschmidt, W (ed.) Holt, Rinehart and Winston, Inc.N.Y.1971.
-Wilson, E.O.
Sociobiology: The new syntheses.
Harvard University Press, Massachusettes, U.S.A., 1975 .

obeikandl.com

المؤلف فى سطور

* دكتور على عبد العزيز النفيلى، أستاذ الأنثربولوچيا بالمركز القومى للبحوث - جمهورية مصر العربية.
* أول عربى حصل على درجة دكتور فى العلوم (D.S c) من موسكو - ١٩٦٦م.
* عضو مؤسس وأمين عام الجمعية المصرية لعلوم الأنثروبولوچيا البيولوچية.
* عضو منتخب لمجلس إدارة الجمعية الأوروبية للأنثروبولوچيا.
* عضو فى العديد من الجمعيات العلمية المحلية والدولية.
* أسس مدرسة علمية، وأشرف على ثمان عشرة رسالة دكتوراة، وسبع وعشرين رسالة ماچستير.
* له عدة مؤلفات، وأكثر من مائة بحث منشورة فى الدوريات العلمية المتخصصة، المحلية والأجنبية.
* أستاذ زائر ومحاضر فى العديد من الجامعات فى أوروبا وأمريكا واليابان.
* حائز على جائزتى التفوق والتقدير العلمى من المركز القومى للبحوث.

obeikandi.com

Contents

Introduction

CHAPTER I : HUMAN DIVERSITY

1 - ORIGIN OF MAN

2 - ORIGIN OF RACIAL VARIATIONS

3 - CLASSIFICATION OF RACES

CHAPTER II : VARIATION OF CULTURES

1 - BASES OF CULTURE

2 - LANGUAGE AND LIFE

3 - ART AND ART WORKS

4 - RELIGION

5 - SCIENCE AND SCIENTIFIC RESEARCH

6 - TECHNOLOGY

7 - VALUES,HABITS AND TRADITIONS

CHAPTER III :

IS THERE ANY RACIAL CHARACTERISTIC OF CULTURE?

CHAPTER IV :

PROGRESS AND ITS ESTIMATION.

CHAPTER V :

EGYPT,ARABS AND PROGRESS

REFERENCES :

ARABIC LITERATURE

FOREIGN LITERATURE

obeikandi.com

Aly El-Nofely

PROGRESS and REGRESS

between Diversity of Humans and variation of cultures

obeikandi.com